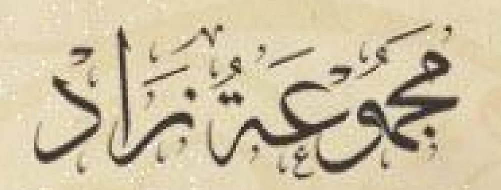
تطييب الخواطر

محمد صالح المنجد

مصدر هذه المادة :





مقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد :

فمما ينبغي مراعاته في حياتنا الاجتماعية ؛ السعي لنشر الود ، والتآلف ، والمحبة ، والإخاء ، وسلامة القلوب بين المسلمين ، ومن وسائل ذلك تطيب خواطر المنكسرين ، والضعفاء ، والمعوزين والمضطهدين ، والمنكوبين ؛ بالوسائل المتنوعة .

وفي هذا الكتيب بيان شيء من ذلك مما ورد في كتاب الله تعالى وصحيح السنة ، وما أُثر عن سلف الأمة .

ونسأل الله أن يفرج هم المهمومين ، وينفس كرب المكروبين .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

محمد صالح المنجد

تطييب الخواطر

إن مكارم الأخلاق ، صفة من صفات الأنبياء والصديقين والصالحين بها تنال الدرجات ، وترفع المقامات ، وتثمر التحاب والتآلف ، وضدها يثمر التباغض والتحاسد والتدابر ؛ ولذا فقد حثَّ النبي ﷺ على حسن الخلق ، والتمسك به ، وجمع بينه وبين التقوى ، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : سئل النبي ﷺ ما أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ فقال : « **التقوى ، وحسن الخلق** »[1].

وتطييب النفوس المنكسرة ، وجبر خواطر أهل الابتلاء من أعظم أسباب الألفة والمحبة بين المسلمين ، فهو إذن أدب إسلامي رفيع ، وخُلق عظيم ، لا يتخلق به إلا أصحاب النفوس النبيلة .

وهو عبادة جليلة ، بل إن بعض العلماء ذكروه في أبواب الاعتقاد ، كما قال إسماعيل بن محمد الأصبهاني رحمه الله : " ومن مذهب أهل السنة مواساة الضعفاء .. والشفقة على خلق الله "[2] .

فأهل السنة يعرفون الحق ويرحمون الخلق ، ويريدون لهم الخير والهدى ولذا كانوا أوسع الناس رحمة ، وأعظمهم شفقة ، وأصدقهم نصحاً ، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأئمة

---

(١) رواه ابن ماجه (٤٢٤٦) وحسنه الألباني .

(٢) الحجة في بيان المحجة (٢/٥٧١).

السنة والجماعة ، وأهل العلم والإيمان ، فيهم العلم والعدل والرحمة ، فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة ... ويرحمون الخلق ، فيريدون لهم الخير والهدى والعلم " [١].

(١) الرد على البكري (٢/٤٩٠) .

عناية الإسلام بتطييب النفوس

اعتنى الإسلام بهذا الخُلق غاية الاعتناء ، بل شرع لذلك أحكاماً عديدة ، في مناسبات متعددة ، فمن ذلك :

استحباب التعزية لأهل الميت ؛ لتسليتهم ، ومواساتهم ، وتصبيرهم ، وتطيب خواطرهم على فقد ميتهم .

وشُرِع للمطلقة غير المدخول بها نصف المهر ، تطييباً لخاطرها ، وجبراً لكسر نفسها ، لقوله تعالى : ﴿**وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ**﴾ [البقرة : ٢٣٧].

وكذلك جاء الشرع بإقرار الدية في القتل الخطأ ؛ لجبر نفوس أهل المجني عليه ، وتطييباً لخواطرهم [١] .

ولتأكيد أهمية هذا الخُلق وبيان فضله ؛ فقد كان من أوائل التوجيهات الربانية للرسول ﷺ في بداية رسالته مواساة من يحتاج إلى مواساة ، وتطييب خاطره ، قال تعالى : ﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ * وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ**﴾ [الضحى : ٩، ١٠]., أي : " فكما كنت يتيماً يا محمد فآواك الله ؛ فلا تقهر اليتيم ولا تذله ، بل طيب

(١) انظر : المغني (٤٨٨/٩) .

خاطره ، وأحسِن إليه ، و وتلطف به ، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك " [١].

فنهى الله تعالى عن نهر السائل وتقريعه ، وأوصى نبيه أن يتلطف به ، ويطيب خاطره ، حتى لا يذوق ذل النهر مع ما هو فيه من ذل السؤال ، وهذا أدبٌ إسلامي رفيع .

وقد عاتب الله نبيه محمد ﷺ ؛ لأنه أعرض عن الصحابي الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم رضي الله عنه ، وانصرف إلى دعوة عظماء قريش ، رجاءَ أن يُسلم بإسلامهم غيرُهم ،فقالَ له ابن أم مكتوم رضي الله عنه : «**يا رسول الله علمني مما علمك الله**» ، فكره رسول الله ﷺ قطعهُ لكلامه وأعرضَ عنه ؛ فأنزل الله يعاتبه : ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّى* أَن جَاءهُ الْأَعْمَى* وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى* أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ الذِّكْرَى**﴾ [عبس: ١,٤].

قال القرطبي رحمه الله : " فعاتبه الله على ذلك ؛ لكي لا تنكسر قلوب أهل الإيمان " [٢].

ولذا كان حرص النبي ﷺ على نشر هذا الخلق بين أصحابه رضوان الله عليهم واضحاً وجلياً ، فمن ذلك :

- **مواساة من فقد عزيزاً أو تحمل ديناً :**

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير (٤٢٧/٨) ، تفسير السعدي (٩٢٨) .
(٢) انظر : تفسير القرطبي (٢١٣/١٩) .

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أنه قال : لقيني رسول الله ﷺ ، فقال لي : « **يا جابر : مالي أراك منكسراً ؟**» قلت : يا رسول الله استشهد أبي قتل يوم أحد ، وترك عيالاً وديناً . قال : «**أفلا أبشرك بما لقي الله به أباك ؟**» ، قلت : بلى يا رسول الله . قال : « **ما كلَّم الله أحداً قط إلا من وراء حجاب ، وأحيا أباك فكلمه كفاحاً ، فقال : يا عبدي تمنَّ عليَّ أعطك ؟، قال : يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية . قال الرب عز وجل : إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون** »(١).

- **وكان عليه الصلاة والسلام يساعد من وقع تحت هم الدين فيوجهه للحل :**

فقد دخل ذات يوم المسجد ؛ فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة رضي الله عنه ، فقال : «**يا أبا أمامة مالي أراك جالساً في المسجد في غير وقت الصلاة ؟**» ، قال: هموم لزمتني و ديون يا رسول الله . قال : «**أفلا أعلمك كلاماً إذا أنت قلته أذهب الله همك وقضى عنك دينك ؟**

(١) رواه الترمذي (٣٠١٠) وحسنه الألباني .

» قلت : بلى يا رسول الله قال : «**قل إذا أصبحت و إذا أمسيت : اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل ، وأعو بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال**» ، قال: ففعلت ذلك ، فأذهب الله عز وجل همي ، وقضى عني دَيني [١] .

- وكان عليه الصلاة والسلام يطيب نفوس المهمومين والمظلمين منهم :

فلما قال المنافق عبد الله بن أُبي لأصحابه : ﴿**لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ**﴾ [المنافقون:٨] وسمعه زيد ابن أرقم رضي الله عنه فأخبر عمه ؛ فأخبر عمه رسول الله ﷺ ، فأرسل لابن أُبي؛ فحلف وجحد . قال زيد رضي الله عنه : فصدقه رسول الله ﷺ، وكذَّبني ... فوقع علي من الهم ما لم يقع على أحد ... فينما أنا أسير ... قد خفقت برأسي من الهم إذ أتاني رسول الله ﷺ ؛ فعرك أذني وضحك في وجهي ؛ فما كان يسرني أن لي بها الخلد في الدنيا[٢].

---

(١) رواه أبو داود (١٥٥٥) ، قال الشوكاني : لا مطعن في إسناد هذا الحديث تحفة الذاكرين (٣٢١) .

(٢) رواه الترمذي (٣٣١٣) وصححه الألباني .

أنواع المنكسرين ، وكيف نطيب خواطرهم ؟

واحتياج الناس اليوم إلى الكلمة الحانية ، والمواساة الكريمة ، والخدمة الطيبة ، والسعي في قضاء حوائجهم ، أمر ضروري ومهم ، وبالذات في هذا العصر الذي كثر فيه الكلام ، وقل فيه العمل ، وظهر فيه الشح والأثرة ، وتعانق فيه الفقر والجهل .

ومن الخطأ الجسيم أن يغفل أهل الصلاح والخير عن خواطر المستضعفين وأهل الابتلاء ، ويهمشوا قضايا الناس واحتياجاتهم اليومية .

فليس من الفضول أن تُؤسس الجمعيات التي ترعى العجزة والأرامل والأيتام ، وليس من العبث أن نسعى في حاجات الفقراء ، والمستضعفين ، والمرضى ، والمنكوبين .

وأصحاب العقول المنكسرة اليوم أنواع :

فمنهم الفقراء والأرامل والأيتام ، ففي صلتهم ، تطييبٌ لخاطرهم وجبرٌ لمصابهم :

(كانت لأبي بَرْزَة جَفنة [أي : قصعة] من ثَريد غدوة ، و جَفنة عشية ، للأرامل واليتامى والمساكين) (١). (وكان صاحب المغرب المنصور يجمع الأيتام في العام ، فيأمر للصبي بدينار وثوب ورغيف

(١) سير أعلام النبلاء (٤٢/٣) .

ورمانة) [١].. وهذا القاضي محمد بن علي المرْوَزيُّ (عُرِفَ بالخياط ؛ لأنه كان يخيط بالليل للأيتام والمساكين ، وَيَعُدُّهَا صدقة) [٢].وهذا أحمد بن علي الرفاعي (كان يجمع الحطب ، ويجئ به إلى بيوت الأرامل ، ويملأ لهم بالجرَّة) [٣] .

ومن يحتاجون إلى تطيب خواطرهم اليوم أهل المصائب والابتلاءات :

وذلك بتصبيرهم على مصيبتهم ، والتخفيف من معاناهم وأحزاهم ، بالكلمة الطيبة ، والفعل الحسن ، فعندما صُلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما في مكة قيل لابن عمر رضي الله عنهما : إن أسماء في ناحية المسجد . فما كان منه عندما سمع ذلك إلا أن ذهب مسرعاً يواسيها ، ويطيب نفسها على ابنها . فيقول لها : (إن هذه الجثث ليست بشئ ، وإنما الأرواح عند الله : فاتقي الله واصبري) [٤] وسمع إبراهيم بن محمد بن طلحة ، أن عروة بن الزبير قد قطعت رجله ؛ فذهب إليه يواسيه ، فقال له : (والله ما بك حاجة إلى المشي ، ولا أرب في السعي ، وقد تقدمك عضو من أعضائك ، وابن من أبنائك إلى الجنة ، والكل تبع للبعض إن شاء الله ، وقد

---

(١) سير أعلام النبلاء (٣١٥/٢١) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٥٦٥/١٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٧٩/٢١) .
(٤) سير أعلام النبلاء (٢٩٤/٢) .

أبقى الله لنا منك ماكنا إليه فقراء ، من علمك ورأيك ، والله ولي ثوابك والضمين بحسابك) [(١)].

قال قتيبة بن سعيد رحمه الله : (لما احترقت كتب ابن لهيعة ، بعث إليه الليث بن سعد من الغد بألف دينار) [(٢)].

وممن تشتد الحاجة إلى مواساتهم أيضاً عوائل الأسرى :

وذلك بالتواصل معهم بالزيارة ، وكفالتهم ، وحسن رعايتهم ، لإعفافهم عن السؤال ، وحفظهم من الابتزاز ؛ فكم تهون على الأسير مصيبته ، حين تقر عينه بصيانة ذريته .

ومما تشد الحاجة إليه في زماننا ، تطيب خواطر الخدم وجبر نفوسهم :

فبعض هؤلاء ترك الأهل والأوطان ، متغرباً ، يبحث عن لقمة العيش وأسباب الرزق ، فيحتاجون منا الوقوف إلى جانبهم ، ومواساتهم ، وتطييب نفوسهم .

قال أحمد بن عبد الحميد الحارثي رحمه الله : " مارأيت أحسن خُلقاً من الحسن اللؤلؤي ! كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه " [(٣)].

بل إن هذا الأدب الإسلامي مطلوب حتى مع الأعداء !!

(١) سير أعلام النبلاء (٢/٢٩٤) .
(٢) سير أعلام النبلاء (٤/٤٣٤) .
(٣) سير أعلام النبلاء (٩/٥٤٤) .

يقول ابن القيم رحمه الله : " جئت يوماً مبشراً لابن تيمية بموت أكبر أعدائه ، وأشدهم عداوة وأذى له ، فنهرني وتنكر لي واسترجع ، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم ، وقال : إني لكم مكانه ،ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه ، فسروا به ودعوا له" (١) .

(١) مدارج السالكين (٢/٣٤٥) .

أثر تطييب الخواطر

لخُلق تطييب الخواطر أثر كبير ، وفعال على النفوس ، فكم تُدخل الكلمة الحانية من السعادة على امرأة عجوزٍ ، فتترجم تلك السعادة بدعواتٍ صادقة خالصة .

وقد تمسح على رأس طفل يتيم حزين ؛ فيذكرك بهذا الموقف طوال عمره ، ويدعو لك مدة حياته ، وقد تقف إلى جنب أخيك فتصبره على فقد حبيب له ؛ وعزيز لديه ، فلا ينسى لك ذلك الموقف ما عاش ؛ والنّفس البشرية مجبولةٌ على حبِّ من أحسن إليها .

فهجر هذا الأدب الإسلامي الرفيع يزيد من مصاب أهل الابتلاء ، ويذهب الألفة والمحبة بين الناس ، ويفوت على المسلم من الثواب والأجر الشيئ الكثير .

الجانب المظلم : داء التشفي :

وعلى خلاف هذا الخلق الكريم ، تجد بعض من قست قلوبهم يفرحون أو يضحكون لحدوث ضرر أو أذى لإخوانهم الذين لم يمسوهم بسوء ولا أذى ، وهذا فعل ينافي تعاليم الإسلام ، لحديث أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله ﷺ : «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه**»[1] . فنرى في زماننا

(١) رواه البخاري (١٣) ، ومسلم (٤٥) .

أناساً قست قلوبهم ، وجعلوا من مآسي الناس ونكباتهم مجالاً للضحك والسخرية بهم ، ومن صور ذلك :

الفرح بإخفاق أولاد الجيران دراسياً ، أو الفرح بتطاول الأبناء على السائق أو الخدم ، أو الفرح لمصائب زملاء العمل ، أو فرح المرأة لمكروه يصيب أقارب زوجها ، أو مصائب ضرتها ، أو طلاق صديقتها .

فليحذر هؤلاء ؛ فإن هذه صفة المنافقين : **﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُواْ بِهَا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لاَ يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾** [آل عمران:١٢٠]، فقد كان المنافقون إذا أصاب المؤمنين خصبٌ، ونصرٌ، وتأييدٌ، وكثروا وعزّ أنصارهم،ساءهم ذلك، وإن أصاب المسلمين جَدْب أو أُديل عليهم الأعداء ، لما لله في ذلك من الحكمة، فَرح المنافقون بذلك (١) .

يا عائداً قد جاء يشـــمت بي قد زدت في سقمي وأوجاعي
وسألت لّما غبتَ عن خبري كم سائل ليُجيبـــه النـــاعي

ولرغبة بعض النفوس في التشفي ممن عاقبها أو ظلمها ، فقد أمر سبحانه بالمعاقبة بالمثل في القصاص دون تعدٍ أو تجاوز ، فقال تعالى : **﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ**

(١) تفسير ابن كثير (١٠٩/٢).

وَاتَّقُواْ اللّهَ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة : ١٩٤] .
ذلك أن (النفوس في الغالب لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي ، فأمر تعالى بلزوم تقواه ، التي هي الوقوف عند حدوده ، وعدم تجاوزها)[١]. فالمحرم مزيد التشفي الذي يسببه التعدي في القصاص ، وهو ما تقدم معناه آنفاً .

وسائل تطييب النفوس

مواساة المنكسرين وتطيب خواطرهم لا يقتصر على الكلام فقط ، بل قد تكون المواساة وتطييب الخواطر بالمال ، وقد تكون بالجاه ، وقد تكون بالنصيحة والإرشاد ، وقد تكون بالدعاء والاستغفار لهم ، وقد تكون بقضاء حوائجهم ، فعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة ، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة ، وكلما قوي قويت[٢] .

فمن وسائل تطييب النفوس ما يلي :

١. المواساة عند فقد الأحبة :

فمما يجبر كسر النفوس المصابة عند فقد الأحبة : لطيف التعزية ، فإن الكلمة الطيبة للمصاب يثبت بها بإذن الله ويغدو صبره عليها سهلاً يسيراً ، فإن العبد ضعيف بنفسه ،

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/١٠٩) .
(٢) الفوائد (١٧) بتصرف .

فإذا وجد هذا يعزيه ، وهذا يسليه ، سهلت عليه الأمور العظام .

وعندما توفيت ابنة المهدي جزع عليها جزعاً لم يسمع بمثله فجلس الناس يعزونه فجاءه ابنُ شيبة يوماً فقال له : أعطاك الله يا أمير المؤمنين على ما رزئت أجراً ، وأعقبك صبراً ، ولا أجهد الله بلاءك بنقمة ، ولا نزع منك نعمة ، ثواب الله خير لك منها ، ورحمة الله خير لها منك ، وأحق ما صبر عليه ما لا سبيل إلى رده(١) .

فلم يروا تعزية أبلغ ولا أوجز من هذه التعزية ، وكان مما سُرِّيَ على المهدي بها .

ومن لطيف التعزية ماقيل من بعض الأعراب عندما دخل على بعض ملوك بني العباس وقد توفي له ولد اسمه العباس فعزاه ثم قال :

خير من العباس أجرك بعـــده والله خير منـــك للعبـــاس(٢)

٢. الاعتذار للآخرين ، وقبول أعذار المعتذرين :

(١) تاريخ الطبري (٥٩٣/٤) .
(٢) وفيات الأعيان (٤٣/٤) .

فالحرص على الاعتذار عند الخطأ ، من وسائل تطييب النفوس ؛ لأن الإنسان يَرِدُ عليه الخطأ في تعامله مع الناس ؛ وكفاره ذلك الذنب هو الاعتذار.

وكذلك هو الحال (لمن أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته ؛ فإن التواضع ُيوجب عليك قبول معذرته ، حقاً كانت أو باطلاً ، وتكل سريرته إلى الله ...) [١].

٣- تبادل الهدايا :

للهدية أثر واضح في تطييب النفوس ، وتصفية القلوب من الأدغال و الأحقاد ، فعن أنس رضي الله عنه أنه قال : (يا بني! تباذلوا بينكم؛ فإنه أودُّ لما بينكم) [٢] .

وروي عن أبي يوسف : (أن الرشيد أهدى إليه مالاً كثيراً ، فورد عليه وهو جالس مع أصحابه ، فقال له أحدهم : قال النبي ﷺ : «**جلساؤكم شركاؤكم**»[٣]، فقال له أبو يوسف : " إن هذا الكلام لم يرد في مثل هذا ، وإنما ورد فيما خف من

(١) مدارج السالكين (٢/٣٣٧) .

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٩٥) وصححه الألباني .

(٣) قال ابن عبد البر : إسناده فيه لين : التمهيد (٢١/١٢٤) .

الهدايا ، وفيما يؤكل ويشرب مما تطيب النفوس ببذله والسماحة به "[١].

٤. الابتسامة :

قال رسول الله ﷺ : «**تَبسُّمكَ في وجه أخيك لك صدقة** »[٢] يعني : أن إظهارك البشاشة والبشر إذا لقيته تؤجر عليه كما تؤجر على الصدقة [٣] ، فضلاً عن كونها تطيب النفوس ، وتزيد المحبة.

قال ابن عيينه رحمه الله: " البشاشة مصيدة المودة " ، فقد يصادفك شخص في الطريق وأنت مهمومٌ مغمومٌ حزينٌ ؛ فيبتسم في وجهك ، فتشعر أنه همك قد زال ، وحزنك قد رحل .

وجاء في الأثر أن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : «**إذا التقى المسلمان فضحك كل واحد منهما في وجه صاحبه ، ثم أخذ بيده تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر**»[٤]، فالابتسامة إذن تنشر المحبة بين المسلمين ، وتطيب خواطرهم ، وتبعث الاطمئنان في نفوسهم وقلوبهم .

---

(١) شرح ابن بطال (١٢٥/٧) .
(٢) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني .
(٣) فيض القدير (٢٩٧/٣) .
(٤) رواه ابن أبي الدنيا في كتاب الإخوان (١١٤) ، وهناد في الزهد (١٠٢٨) .

٥. قضاء حوائج الناس :

فقد كان رسول الله ﷺ: «**لا يأنف أن يمشي مع الأرملة والمسكين فيقضي له الحاجة**»[١].

قال حكيم بن حزام رضي الله عنه "ما أصبحت وليس ببابي صاحب حاجة إلا علمت أنها من المصائب التي أسأل الله الأجر عليها " [٢].

وقال محمد بن عبد الواحد الزاهد : " ترك قضاء حقوق الإخوان مذلة ، وفي قضاء حقوقهم رفعة ؛ فاحمدوا الله على ذلك ، وسارعوا إلى قضاء حوائجهم " [٣].

ومشى بَقِي بن مخلد مع ضعيف في مظلمة إلى إشبيلية ، ومشى مع آخر إلى إلبيرة ، ومع امرأة ضعيفة إلى جَيَّان [٤].

هذا مع كثر عبادته ، وكثرة طلابه وانشغاله بالعلم والتأليف.

٦. التزاور :

زيارة المريض حال مرضه ، وزيارة الإخوان بين حين وآخر له أثر كبير في تطييب النفوس ، وتنمية المودة والألفة .

---

(١) رواه النسائي (١٤١٤) ، وصححه الألباني .

(٢) سير أعلام النبلاء (٣/٥١) .

(٣) رواه الترمذي (١٩٥٦) وصححه الألباني .

(٤) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٩٥) .

٧ . فهم النفسيات :

النفس البشرية كالبحر ، والنفوس تختلف باختلاف أصحابها ، فما يصلح لهذه قد لايصلح للأخرى ، ولله در شبيب بن شيبة حينما قال : "لا تجالس أحداً بغير طريقه ، فإنك إذا أردت لقاء الجاهل بالعلم ، واللاهي بالفقه ، والعِيِّ بالبيان آذيت جليسك " [١].

وهذا المنيعي حسان بن سعيد المخزومي عندما أراد أن يبني جامعاً أتته امرأة بثوب لتبيعه وتنفق ثمنه في بناء ذلك الجامع ، وكان الثوب لا يساوي أكثر من نصف دينار ، فطيب خاطرها ، واشتراه منها بألف دينار ، وخبأ الثوب كفنا له [٢].

٨. إخفاء الفضل والمنة عند جبر الخواطر:

كان القعقاع بن شَوْرٍ إذا قصده رجلٌ ، وجالسه ، جعل له نصيباً من ماله ، وأعانه على عدوه ، وشفع له في حاجته ، وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً [٣] .

فهذه بعض وسائل تطييب النفوس والخواطر ، نسأل الله أن ينفعنا جميعاً .

---

(١) آداب العشرة (٤٧) .
(٢) انظر : سير أعلام النبلاء (٢٦٦/١٨) .
(٣) الكامل للمبرد (١٤٣/١) .

ولنعلم أن المريض، والمهموم، والحزين، والطبيب، والموظف، والداعية، والغني، والفقير، والصغير، والكبير، الكل يحتاج إلى الكلمة الطيبة ، والابتسامة المشرقة ، والتعامل الحسن ، فجميعنا يحتاج إلى هذه العبادة.

ولذلك ينبغي على الجميع إحياء هذه العبادة وتفعيلها مع الصغار والكبار ، مع المرضى والأصحاء، مع الطلاب والمعلمين، مع العالم والجاهل ، مع المصيب و المخطيء .

فقد يصبح الطفل من العلماء والعظماء النابهين النافعين ، لأمته بكلمةٍ تشجيعية يسمعها من معلمه ، أو أحد والديه .

وقد يصبح المريض الذي أعياه الألم ، صحيحاً سليماً معافى بعبارة مشجعة ، ودعوة طيبة ، وابتسامة صادقة ، من زائريه .

وقد يصبح المخطئ والمقصر ، والمسرف على نفسه ، صالحاً مصلحاً بموعظة حسنة ، وذكرى نافعة ، وتوجيه سديد .

ولابد من استثمار موقف الضعف عند العبد ؛ لربطه بالله وحده .. فهو سلوة المنكوبين .. وملاذ المنكسرين .. وهو الذي يملك كشف الضرِّ .. ﴿**أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ**﴾ [النمل :٦٢] . وتذكيره بالثواب العظيم لأهل البلاء ؛ كما جاء عن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : « **ما يصيب المسلم من نَصَبٍ ، ولا وَصَب ، ولا هم ، ولا حزن ،**

ولا أذى ، ولا غَمٍّ ، حتى الشوكة يُشاكها إلا كفر الله بها من خطاياه»[١].

وكم من أُناس تبدَّلت أحوالهم ، وتغيَّرت أمورهم ، بسبب فتنة أو محنة ألمت بهم ، وتصبيرهم وتثبيتهم حتم وواجب ؛ حتى لا يكونوا ممن تعصف بهم الأزمات والفتن ، وتموج بهم رياح الابتلاء والمحن .

نسأل الله أن يعصمنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن ، وأن يؤلف بين قلوبنا ، ويصلح ذات بيننا ، ويجعلنا هداة مهتدين ، غير ضالين ولا مضلين .

وصلى الله وسلم على عبده ورسوله نبينا محمد ، وعلى آله وأصحابه أجمعين .

محمد صالح المنجد

---

(١) رواه البخاري (٥٦٤٢) .